

تفسير البحر المحيط

@ 361 @ فأنكر عليهم بقوله : { الْبَازُونَ أَمْ خَلَقْنَاهُم لَنَا لَمَّا كُنَّا إِنْ شَاءَ }
وَهُمْ شَاهِدُونَ : أي خلقناهم وهم لا يشهدون شيئاً من حالهم ، كما قال في الأخرى :
أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ } وكما قال { مَا أَشْهَدَتْهُمْ خَلْقَ * السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْآلِقِ * خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ } . ثم أخبر عنهم ثالثاً بأعظم الكفر ، وهو
ادعائهم أنه تعالى قد ولد ، فبلغ إفكهم إلى نسبة الولد . ولما كان هذا فاحشاً قال : {
وَإِنْ زَعَمُوكَازِبُونَ } . واحتمل أن تخص هذه الجملة بقولهم ولد ا ، ويكون تأكيد
لقوله : { مِّنْ إِنْفِكَهِمْ } ، واحتمل أن يعم هذا القول . فإن قلت : لم قال : {
وَهُمْ شَاهِدُونَ } ، فخص علمهم بالمشاهدة ؟ قلت : ما هو إلا استهزاء وتجهيل كقوله :
أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ } ، وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة ، لم يعلموه
بخلق ا علمه في قلوبهم ولا بإخبار صادق ، لا بطريق استدلال ولا نظر . ويجوز أن يكون
المعنى أنهم يقولون ذلك ، كالقائل قولاً عن ثلج صدر وطمانينة نفس لإفراط جهلهم ، كأنهم
قد شاهدوا خلقه . وقرأ : { وَلَدَ اللَّامُ } : أي الملائكة ولده ، والولد فعل بمعنى
مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . تقول : هذه ولدي ، وهؤلاء ولدي . انتهى
.
وقرأ الجمهور : { اصْطَفَى } ، بهمزة الاستفهام ، على طريقة الإنكار والاستبعاد . وقرأ
نافع في رواية إسماعيل وابن جمار وجماعة ، وإسماعيل عن أبي جعفر وشيبة : بوصل الألف ،
وهو من كلام الكفار . حكى ا تعالى شنيع قولهم ، وهو أنهم ما كفاهم أن قالوا ولد ا ،
حتى جعلوا ذلك الولد بنات ا ، وا تعالى اختارهم على البنين . وقال الزمخشري : بدلاً
عن قولهم ولد ا ، وقد قرأ بها حمزة والأعمش ، وهذه القراءة ، وإن كان هذا محلها ، فهي
ضعيفة ؛ والذي أضعفها أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها ، وذلك قوله : {
وَإِنْ زَعَمُوكَازِبُونَ } ، { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } . فمن جعلها للإثبات
فقد أوقعها دخيلة بين سببين ، وليست دخيلة بين نسيبين ، بل لها مناسبة ظاهرة مع قولهم
ولد ا . وأما قوله : { وَإِنْ زَعَمُوكَازِبُونَ } ، فهي جملة اعتراض بين مقالتي
الكفر ، جاءت للتشديد والتأكيد في كون مقالتهم تلك هي من إفكهم . { مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ } : تقرير وتوبيخ واستفهام عن البرهان والحجة . وقرأ طلحة بن مصرف :
تذكرون ، بسكون الذال وضم الكاف . { أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ } : أي حجة نزلت عليكم من
السماء ، وخبر بأن الملائكة بنات ا . { فَأُتُوا بِكِتَابِكُمْ } ، الذي أنزل عليكم

بذلك ، كقوله : { أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ هِمٍّ سُلْطَانًا } ، فهو يتكلم بما كانوا به يشركون . .

{ وَجَعَلُوا بَيِّنَةً وَبَيِّنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُيِّدَحَانَ اللَّهَ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عَبْدًا لِلَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَإِنَّ زَكُّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ * وَمَا مِنْكُمْ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّ زَكَّا لَلْذَحْنَ الصَّافُونَ * وَإِنَّ زَكَّا لَلْذَحْنَ الْمُسْبِخُونَ * وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنْزَلْنَاهُ ذِكْرًا مِّنَ الْوَالِيَيْنِ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ زَكُّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنْ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَوَيْدَا بِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * سُيِّدَحَانَ رَبِّكَ رَبُّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } . .

الظاهر أن الجنة هم الشياطين ، وعن الكفار في ذلك مقالات شنيعة . منها أنه تعالى صاهر سروات الجن ، فولد منهم الملائكة ، وهم فرقة من بني مدلج ، وشافه بذلك بعض الكفار أبا بكر الصديق . { وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ } : أي الشياطين ، أنها محضرة أمرًا من ثواب وعقاب ، قاله ابن عطية . وقال الزمخشري : إذا فسرَّت الجنة بالشياطين ، فيجوز أن يكون الضمير في { إِنَّ زَكُّهُمْ لَمُحْضَرُونَ } لهم . والمعنى أن الشياطين عالمون أن يحضرهم النار ويعذبهم ، ولو كانوا مناسبين له ، أو شركاء في وجوب الطاعة ، لما عذبهم . وقيل : الضمير في { وَجَعَلُوا } لفرقة من كفار قريش والعرب ، والجنة : الملائكة ، سموا